

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : سورة الشرح - تفسير السورة بكاملها

12-07-1998

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، في سورة الشرح، يقول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (8) ﴾

(سورة الشرح)

أول نقطة في هذه السورة أن الله سبحانه وتعالى شاء للإنسان أن يمر في طريقه إلى الله بمضائق، وهذه الأخيرة مر بها النبي عليه الصلاة والسلام بشكل حاد، وكل مؤمن لا بد أن يمر بمضائق على حسب إيمانه وبما يستطيع، أما أن يصل إلى الجنة التي عرضها السماوات والأرض إلى أبد الأبد، وبلا ثمن، فهذا من سابع المستحيلات، هذا العطاء الكبير لا بد له من مضائق، أحياناً مضائق مادية، ماذا تفعل؟ قد نمتحن سيارة بطريق هابطة؛ ممتازة ولك أن تطفئ المحرك، ولكن كيف نمتحن المركبة؟ بالطريق الصاعدة، فإذا مر الإنسان بامتحان الرخاء، يقول لك: فضل من الله فهو نجح بامتحان الرخاء، ولا بد من امتحان الشدة! قد تكون المضائق مادية فهل يأكل المال الحرام؟ هل يضجر؟ هل يتفلسف؟ وقد يمر بمضائق اجتماعية؛ هناك أناس يحاربونه ظلماً وعدواناً، هل يرى يد الله فوق أيديهم؟ أم ينسى أن هؤلاء مسيرون؟ هل يوجد أم يخفق أو يستسلم؟ وهناك مضائق صحية، وهناك مضائق في الدعوة فهؤلاء الدعوة لهم حساب خاص، يمررون بمضائق، فإن لم يصبروا يقول الله عز وجل: أخرج من هذا الطريق فلست أهلاً له، لذا لا تتصور أن تدخل الجنة دون امتحان، وأقول امتحان صعب، ولست بهذا متشائماً لكن ربنا سبحانه وتعالى قال:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ وَالضَّرَّاءُ وَرَأَسُ الْوَيْلِ مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214) ﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿لَنْ تَأْلَوْا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)﴾

[سورة آل عمران]

أعرف رجل، أخوه حطّم له سيارته من شدة غناه لم يستطع أن يراها، وقال لهم: بيعوها ! دخل عند مؤظّف فأهانهُ، حينها دخل مباشرةً عند طبيب قلب مباشرةً، فهذا امتحان المال سهل عنده أما امتحان العزّ والكرامة لم يستطع له.

فأنا لستُ مُتّسائماً ولكن أوكد لكم حسب القرآن الكريم أنّه لا يُمكن أن نصل إلى هذه الجنّة التي وعدنا الله بها، من دون أن تدفع الثّمّن، ونمّنها أن تتجّح في الامتحان، هل يوجد في الأرض من يقول لك: أنا دكتور ولم يمتحن؟! يُؤلّف أطروحة بحّمس سنوات يُحاسبونه على الفاصلة والحركة، ويُعيدوه الكتابة والفصل، والدكتور لم يُعجبه، والمُشرف ما راق له هذا الفصل، ومراجعك قليلة، وأعدّ البَحْث فهذه مرتبة في الدنيا وقد لا تعني شيئاً الآن، فكيف مرتبة الجنّة؟! فلقد كان النبي عليه الصلاة والسلام مُتضايق جداً، ولكن ما بعد الضيق إلا الفرج، وما بعد الشدّة إلا الرّخاء، وما بعد الامتحان الصّعّب إلا العطاء، دقّق ! أصعب امتحان مرّ به النبي عليه الصلاة والسلام في الطائف ؛ كُذّب وسُخر منه، ونالوه بالأذى، وبعد الطائف الإسراء والمعراج، وأنّه سيّد الأنبياء والمرسلين، ولا يوجد مخنة إلا ووراءها منحة، ولا يوجد شدة إلا ووراءها شدة إلى الله، فهذا من بشائر الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2)﴾

[سورة الشرح]

هذا الجمل الثّقيل قال تعالى:

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)﴾

[سورة الشرح]

ولا يوجد إنسان يعمل في الحق إلا ويرفع الله له ذكّره، والإنسان إذا كان مع الله له مكانة خاصّة، وله قُدسيّة خاصّة، ومعاملة خاصّة والله عز وجل يُلبسه ثوب الهيبة، مُهاب لأنّه هاب الله فهابه كلّ شيء ومن لم يهّب الله أهابه الله من كلّ شيء، تجده يخاف من الأذن الذي عنده وتجدّه مُدير عام، ومن لم يتقّ الله أهابه الله تعالى من كلّ شيء لذلك هذه السورة تشرح الصّدْر، قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3)﴾

[سورة الشرح]

قد تقول هي للنبي، وبالمقابل لكل إنسان مؤمن صادق مع الله عز وجل، وقد تسألني عن الدليل، قال تعالى:

﴿ فَأَدَا فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) ﴾

[سورة الأنبياء]

قيسوا على هذه الآية ؛ عندك هُموم البنات والأولاد والمعاش والصحة فانه يُمرِّك من مضائق، لذا وطمّن نفسك فلا بدّ من أن تمرّ بمضائق وبطولتُك أن تقول: يا رب، لك الحمد ! وأنا راضي

هم الأحيّة إن جاروا وإن عدلوا فليس لي عنهم مَعْدِل وإن عدلوا

والله وإن فتتوا في حُبهم كبدي باق على حُبهم راضٍ لما فعلوا

إنسان معه مرض خبيث بالأمعاء، والآلام لا تُحتمل، أقسم لي طبيبه الخاص، ما زاره إنسان إلى المستشفى إلا ويقول له: إشهد أنني راضٍ عن الله، ويا رب لك الحمد، ومات بأخلى حالة، فانه عز وجل يسوق لك امتحان مرض والفقر والشدة والهَمّ والحزن، ولكن اجعل شعارك: إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولك العتبة حتى ترضى ولكن عافيتك أوسع لي، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (8) ﴾

[سورة الشرح]

أحياناً يكون إنسان مسحوق بالهمّ، ابتلاء، والحديث: مَنْ قَصَرَ بِالْعَمَلِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ بِالْهَمِّ، فهناك هُموم تُسحق، وقد يأتي الهمّ فيسحق ثم يزاح عنه، حينها يتنفّس الصُّعداء، سيهديهم ويُصلح بالهم، فالمؤمن الذي يطلب الجنة، أما الذي لا يطلبها انتهت المشكلة، قال تعالى:

﴿ أَرْضِيئُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38) ﴾

[سورة التوبة]

فإذا الإنسان بلا هدف فلا مشكلة لأنه هو أصلاً مُشكلة، أما إذا كنت تطلب الجنة ومفعد صدق عند مليك مقتدر، وأن تكون في أعلى عليين عليك أن تتحمّل.

أحد الإخوة توكّل بعمار مسجد، فلا بدّ من أن يُقابل بعض المسؤولين وقد تكون منهم شدة فهو قال لي: الجنة لها ثَمَن ومرحباً بثَمَن الجنة.

النقطة الدقيقة قوله تعالى:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) ﴾

[سورة الشرح]

هذه لِكُلِّ مؤمن له منها نصيب، والله تعالى يرفع لك ذِكْرَكَ وشأنك وثوب مهابة ومحبة ويتدافعون لخدمتك، وأحياناً الإنسان يُهان، والله عز وجل له عذاب مُهين، رأيتُ مرّةً ضابطاً يضرب إنساناً مُخْتَرِماً بكفّ! عذاب وأحياناً عُدُوك يخدمك، وكل واحدٍ منّا له من هذه الآية نصيب، خَفَ منه يُخَوِّفُ منك الناس، وأجبه يُلقي محبتك في قلوب الناس، وهبهُ يَجْعَلُكَ مُهَاباً عند الناس، وكما تدين تُدان، وكما تُعامل الله تُعامل، كُن لي كما أريد أكن لك كما تريد، إن ذَكَرْتَنِي في نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ في ملاٍ من ملائكتي وخير منه، ويُطْرَحُ اسمُكَ بأعلى مُجْتَمَعٍ ويُنْتَى عليك لأنّ تذكر الله بين خلقه، وهذا هو معنى قوله تعالى:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) ﴾

[سورة الشرح]

كان هناك قصاباً، فقال لي: أنا والشيخ أبو الحسن سواء، فقلتُ له: ما بال الثرى من الثريا! مهما كانت الصنعة، المهم ما حاله الآن؟ مؤمن تقي، وعالم ورع، فالمؤمن حتى في أفراد الأُسرة مُخْتَرِمٌ وفي الأُقارب. ثم قال تعالى:

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) ﴾

[سورة الشرح]

هي إنّ بعد العسر يُسرًا، يأتي عُسْرٌ ويحيء بعده يُسرٌ، لكنّ الله تعالى من رحمته ولكي يُطمئنك قال لك مع العسر يوجد عُسْرٌ! فهذا الذي يُرْعِجُكَ يُرافقه اليُسْرُ، وهناك قاعدة لُغَوِيَّةٌ تُعرّفونها، وهي أنّ الكلمة إن كانت نكرة وتكررت فالمعنى يتكرّر، أما إذا المعرفة فالمعنى نفسه، ولن يغلب عسر يُسرَيْن، فالعسر هنا معرفة، وكلمة يُسر نكرة، قال العلماء: يُسر في الدنيا وآخر في الآخرة، فمهما تنوّع العسر فدايمًا اليُسْرُ مُضَاعَفٌ. ثم قال تعالى:

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8) ﴾

[سورة الشرح]

أنا عندي جرد الآن! طيب ألم ينتهي هذا الجرد الآن؟! وأنا عندي فحوص، لم نرك بالدرّس والصلوات، وأنا عندي مُشكلة؛ ابني سيَعْمَلُ عَمَلِيَّةً، وقد ورد: هلك المُستوفون، فإذا شَعَلَكَ شيء وانتهى لم يعد هناك عُذْرٌ فكأنّ الله عز وجل يقبل عُذْرَكَ، قال الإمام علي كرم الله وجهه: إنّ للنفس إقدامًا وإدبارًا، فإذا أدبرت فاحملوها على الفرائض وإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، فالواحد إذا انتهت مُشكلاته فلا عُذْرَ له، لذا كما قال تعالى:

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (8) ﴾

[سورة الشرح]